

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۖ﴾ [الإسراء: 6]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد أن ذَكَرَ اللهُ تعالى ما فعله بنو إسرائيل من تخريب في الأرض المقدَّسة وما ارتكبه من جرائم وقبائح من التَّكْبُرِ والتَّجَبُّرِ، وما بعثه اللهُ عليهم من العباد أولي البأس الشديد، فجاسوا خلال ديارهم، وفعلوا بهم الأفاعيل، ناسب أن يَذْكُرَ توبتهم ورجوعهم إلى حالتهم الأولى، ووصلوا ما كانوا قطعوه مع الله تعالى، أعاد الله لهم الغلبة والدَّولة، وأمدهم بالأموال والبنين، وجعلهم أكثر عدداً، ووعدهم الله تعالى بالنَّصر إن هم أطاعوه، وإلا عاقبهم بالخزي والعذاب إن رجعوا إلى فسادهم وعصيانهم، فجاء بيان ذلك كما ذكر الله تعالى في هذه الآية.

الانتقال من ذِكْر
التَّأديب بسبب
الإفساد، إلى
ذِكْر التَّمكين
بسبب الطَّاعة

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿رَدَدْنَا﴾: الرَّاءُ والدَّالُ أصل واحد مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، وهو رَجَعُ الشَّيْءِ، تقول: رددتُ الشَّيْءَ أردهُ رَدًّا⁽¹⁾، والرَّدُّ يُسْتَعْمَلُ فيما كان مرَّةً بعد أخرى⁽²⁾، فالتَّعبيرُ بالرَّدِّ هنا دليل على عَوْدِ دولتهم إلى سابق عهدِها بقوة، ويناسبُ ذلك الرَّدُّ ذِكْرَ الكُرَّةِ، وهي الرُّجُوعُ إلى الأمر الذي سبق وجوده بسرعة مع قوَّةٍ وشِدَّةٍ بآسٍ؛ لإنجاح هذه العَوْدَةِ وإظهارها.

(2) ﴿الْكُرَّةَ﴾: الكافُ والراءُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جمع وترديد، من ذلك: كَرَّرْتُ، وذلك رُجُوعُكُ إليه بعد المرَّةِ الأولى، فهو التَّرْدِيدُ⁽³⁾،

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رَدَّ).

(2) الزَّاغِبُ، المفردات: (رَدَّ).

(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كَرَّ).

ومعناها المحوري: "معاودة الشيء إتياناً أو انتقالاً إليه، مرّة بعد أخرى لتحصيله"⁽¹⁾، ولما كانت إعادة الدولة مرّة أخرى إلى حالتها الأولى، ناسب ذلك التعبير بالكثرة؛ لأنّه يحتاج إقدام النفوس وقوّة القلوب، التي تقوى على إظهارها في مكانها اللائق بها.

(3) ﴿وَأَمَدَدْنٰكُمْ﴾: الميم والدال أصل واحد يدل على جرّ شيء في طول، واتّصال شيء بشيء في استطالة، تقول: مددت الشيء أمده مدّاً⁽²⁾، وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب⁽³⁾، ولما كان إنعام الله عليهم وعطاؤه كثيراً، عوضاً عمّا فاتهم وما ضاع منهم، جعل الله هذا إمداداً لا ينقطع، كلّما غاص منه مدّ فاض عليه مدّ آخر؛ ليكون عطاءً لا يبور.

(4) ﴿نَفِيرًا﴾: النون والفاء والراء: أصل صحيح يدل على تجافٍ وتباعد، منه: نفر الدابة وغيره نفاراً، وذلك تجافيه وتباعده عن مكانه ومقرّه، والنفر من قياس الباب؛ لأنّهم ينفرون للنصرة⁽⁴⁾، ومنه الاستنفار في القتال: الاستنجد والاستنصار⁽⁵⁾، من تمام نعمه ﷺ على بني إسرائيل بعد أن أمدهم بالأموال والبنين فعزّوا وكثّروا، ذكّر منّة أخرى وهي أن جعلهم أصحاب قوّة ونفار، يردّون غائلة من أراد بهم السوء والخديعة.

❁ المعنى الإجمالي:

العائدُ عن ذنبه
كَمَن لا ذنب له

في هذه الآية الكريمة تذكير لبني إسرائيل بجُملة من نعم الله عليهم، بعد أن أصابهم ما أصابهم من أعدائهم، فأعاد الله تعالى لهم الدولة والغلبة على أعدائهم الذين قهروهم وأذلّوهم قبل ذلك،

(1) جبل، العجم الاشتقاقيّ للؤصل: (كرر).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مدّ).

(3) الرّغب، المفردات: (مدّ).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نفر).

(5) جبل، العجم الاشتقاقيّ للؤصل: (نفر).

وذلك بعد أن أَحَسَّنُوا العملَ والرُّجُوعَ إلى الله تعالى، فالآيَةُ نموذجٌ سلوكيٌّ للأُمَّةِ، بأنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ تعالى، وأنَّهُمْ إِنْ أَحَسَّنُوا العلاقةَ معَ اللَّهِ تعالى؛ اسْتَقَامَتْ حَيَاتُهُمْ، ورسَتْ سَفِينَتُهُمْ.

❁ الإيضاحُ اللَّغَوِيُّ والبَلَدِيُّ:

دلالةُ العطفِ بحرفِ ﴿ثُمَّ﴾:

أفاد حرف ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ العطفَ، للتَّرتيبِ مع التَّراخي، والمراد: تَرتيبُ الأخبارِ لا تَرتيبُ المُخْبَرِ عنه، ولهذا قيل: إِنَّهَا تَأْتِي كَثِيرًا لَتَفَاوُتَ مَا بَيْنَ رُتَبَتَيْنِ فِي قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ، وَعُطِفَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَجَاسُوا خِلَالِ الدِّيَارِ﴾ لِاتِّفَاقِ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْخَبَرِيَّةِ، فَوَصَلَ بَيْنَهُمَا، وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي التَّوْرَةِ إِنَّ هُمْ أَنَابُوا وَرَجَعُوا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْغَلْبَةُ، وَاسْتَعْمَالَ ﴿ثُمَّ﴾ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ أَدَوَاتِ الْعُطْفِ؛ لِبَيَانِ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ تَرَاخٍ فِي رَدِّ الْكَرَّةِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّ إِعَادَةَ الْأُمَّةِ إِلَى حَالَتِهَا الْأُولَى، يَحْتَاجُ إِلَى إِعْدَادِ نَفْسِيٍّ وَرُوحِيٍّ وَإِيمَانِيٍّ وَمَادِّيٍّ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ؛ بِإِعَانَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ حَرْفُ التَّراخِي.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِمُفْرَدَةِ الرَّدِّ:

استعمل النَّظْمُ الْكَرِيمُ مُفْرَدَةَ الرَّدِّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ دُونَ الرُّجُوعِ، وَالرَّدُّ: صَرْفُ الشَّيْءِ بِذَاتِهِ، أَوْ بِحَالَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، يَقَالُ: رَدَدْتُهُ فَارْتَدَّ، وَهُوَ مِنْ تَكَرَّرِ الشَّيْءِ وَتَرَدُّدِهِ، أَمَّا الرُّجُوعُ فَهُوَ الْعَوْدُ إِلَى مَا كَانَ مِنْهُ الْبَدْءُ، أَوْ تَقْدِيرُ الْبَدْءِ، مَكَانًا كَانَ أَوْ فِعْلًا أَوْ قَوْلًا، وَفِيهِ إِعَادَةُ قَدِّ تَحْتَاجُ إِلَى زَمَنِ وَبُعْدٍ بَيْنَ الرَّجْعَةِ وَالرَّجْعَةِ، وَالْأَلْيَقُ بِهَذَا السِّيَاقِ مُفْرَدَةُ الرَّدِّ؛ ذَلِكَ أَنَّ الرَّدَّ هُوَ مَا كَانَ مَرَّةً تَلَوَّ الْأُخْرَى، فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ هَذَا الصَّنِيعَ سَيَصْدُرُ عَنْهُمْ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَسَيَكُونُ الرَّدُّ لَهُمْ مَرَّةً ثَانِيَةً، أَمَّا الرُّجُوعُ فَهُوَ مُطْلَقٌ

إِعْدَادُ الْأُمَّةِ مِنْ
جَدِيدِ بِحَاجَةٍ
إِلَى مُهْلَةٍ
زَمَانِيَّةٍ، مَعَ
الْعَمَلِ وَالْإِنَابَةِ

إِشَارَاتُ الْقُرْآنِ
إِلَى الْوَاقِعِ
التَّارِيخِيِّ دَلِيلٌ
صِدْقِ وَأَمَارَةٍ
حَقِّ

العود إلى ما كان عليه الحال، وهم لن يرجعوا إلى ما كانوا عليه رجوعاً مطابقاً، بل سيعودون إلى سابق مُكنتهم في الأرض، ففرق بين المُفردتين في هذا الاستعمال، من حيث الإشارة إلى التكرار، وأنّ العود لن يكون مطابقاً، وهي إشارة تاريخية كاشفة عما كان عليه الأمر سابقاً.

دلالة التعبير بالماضي:

وعُدَّ الله
للمستقبليّ أصدق
مما يراه البشر

التعبير بالفعل الماضي ﴿رَدَدْنَا﴾ دالٌّ على تحقق الفعل وحصوله، ويُعبّر بالماضي لما هو مُتحقق الوقوع كالواقع، وفي هذا دليل على صدق الوعد ومنّ وعد به؛ لأنّ وعده لا يتخلف ولا يتبدّل، قال أبو حيّان: "وجعل ﴿رَدَدْنَا﴾ موضع (نرد)؛ إذ وقت إخبارهم لم يقع الأمر بعد، لكنّه لما كان وعد الله في غاية الثقة أنّه يقع، عبّر عن مُستقبله بالماضي"⁽¹⁾، وقال الطاهر بن عاشور: "وجيء بفعل ﴿رَدَدْنَا﴾ ماضياً جرياً على الغالب في جواب (إذا)، كما جاء شرطها فعلاً ماضياً في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا بَعَثْنَا﴾، أي: (إذا يجيء يبعث)"⁽²⁾.

دلالة إضافة فعل (ردّ) إلى نون العظمة:

عناية الله
بعباده الآيين لا
تنقطع

أضيف فعل الردّ إلى ضمير العظمة في قوله تعالى: ﴿رَدَدْنَا﴾ للتّعظيم وتشريف من كان لهم الحدث، ودلالة على عناية الله تعالى بعباده الآيين، ومجيء نون العظمة في الفعل هنا إيجاز واختصار، وهو أخصر من أن يقال: ثمّ ردّ الله ﷻ الكرّة.

غرض تقديم الجارّ والمجرور:

قصر الردّ مِظَنَّة
العناية بالأمر

أفاد تقديم الجارّ والمجرور على المفعول به في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ التخصيص، فهو لكم لا لغيركم، كما أفاد التقديم الاهتمام بأمر هؤلاء.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 10.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 32/ 15.

دلالة اللام في: ﴿لَكُمْ﴾:

اللام في: ﴿لَكُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾⁽¹⁾ إما أن تكون للتعدية، وهي التي تعدّي العامل إذا عجز عن التعدّي بنفسه، أو أن تكون للتعليل، وهي التي يصلح أن يقع موضعها (من أجل)، والمعنى هنا على التعليل: رددنا من أجلكم الكرّة عليهم، ومعنى التعليل حاضر، وهو كناية عن قبول الله تعالى لتوبتهم.

معنى التعليل
كناية عن قبول
التوبة

دلالة التعبير بالكرّة دون الغلبة:

من بديع الاتساق في هذه الآية انتقاء مفردة الكرّة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ مع الردّ، وهي من الكرّ، وهو "العطف على الشيء بالذات أو بالفعل، ويقال للحبل المفتول: كَرٌّ"⁽¹⁾، والكرّة: تتابع لا ينقطع، يتكرّر فيه الغلب والظفر واللاحق المتتابع، أمّا الغلبة: فهي من "القهر"، يقال: غلبته غلبًا وغلبًا فهو غالب"⁽²⁾، والغلبة لا تكرر فيها، فقد تكون مرّة واحدة لا تتعدّد، ومن هنا عبّر بالأكثر المتتابع، لا بالمنفرد المقطوع، فاستعمال الكرّة فيه إشارة إلى أنّ هذا الأمر سيتكرّر في الأيام القادمة، كما كانت الإشارة في مفردة الردّ، وما ألصق المعاني وأشدّ تتابعها في سياق الإشارة إلى المستقبل الغيبي!

المفردات القرآنية
متناسبة في
الإشارة إلى
المستقبل الغيبي

بلادة الاستعارة التصريحية في لفظ الكرّة:

شبّهت الغلبة بالكرّة في قوله تعالى: ﴿رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾، فجاء بلفظ الكرّة، وفيها دلالة على الرجوع والعطف، فحذف المشبه - وهو الغلبة - وبقي المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، مبالغة في متابعة النصر والغلبة مرّات ومرّات؛ فشبه رجوعهم وعطفهم على عدوّهم بالفارس الذي يكرّ على عدوّه متابعة تلوّ متابعه.

المؤمن الرجّاع
إلى دينه راجع
إلى النصر المرّة
تلو الأخرى

(1) الزاغب، المفردات: (كرّ).

(2) الزاغب، المفردات: (غلب).

براعة استعمال حرف الاستعلاء في الكشف التاريخي:

لِكُلِّ مَتَمَسِّكٍ
بِإِيمَانِهِ يَوْمَ
يَعْلُو فِيهِ عَلَى
عَدُوِّهِ

لَمَّا كَانَ الْمَرَادُ إِظْهَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَأَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْغَلْبَةُ؛ عَبَّرَ بِالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْكِرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾؛ كَأَنَّهُمْ عَلَوْهُمْ وَأَحَاطُوهُمْ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا فِرَارًا مِنْهُمْ، وَلَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ إِعْلَاءَ أَمْرِ هَؤُلَاءِ وَنُصْرَتِهِمْ عَبَّرَ عَنْهُ بِلَفْظِ الْعُلُوِّ، "فَقَوْلُهُ: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ظَرْفٌ مُسْتَقَرٌّ هُوَ حَالُ مَنْ الْكِرَّةُ؛ لِأَنَّ رُجُوعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ كَانَ بِتَغْلِبِ مَلِكِ فَارِسَ عَلَى مَلِكِ بَابِلَ"⁽¹⁾، كَمَا هُوَ ثَابِتٌ فِي التَّارِيخِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَهَيِّئُ أَسْبَابَ النَّصْرِ لِلْأُمَّةِ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ، إِنْ هِيَ عَادَتْ وَأَبَتْ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى.

تعيين المراد بالصِّمِيرِ فِي: ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

الصِّمِيرُ عَائِدٌ
عَلَى أَعْدَاءِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ

الصِّمِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْكِرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ مُرَادٌ بِهِ أَعْدَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ الْعِبَادُ الْمُتَقَدِّمُونَ ذِكْرَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، فَعَادَ الصِّمِيرُ عَلَى مُتَقَدِّمِ ذِكْرِهِ، أَي: رَدَدْنَا الدَّوْلَةَ وَالْغَلْبَةَ عَلَى أَعْدَائِكُمْ بَعْدَ هَذَا الْبَلَاءِ الشَّدِيدِ.

دلالة الواو فِي: ﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ﴾:

مَا بَعْدَ النَّصْرِ
مَدَدٌ مِنَ اللَّهِ
لِاسْتِمْرَارِ
النُّهْوضِ
وَالْغَلْبَةِ

الواو فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ﴾ عَاطِفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿رَدَدْنَا﴾، مِنْ قَبِيلِ عَطْفِ الْجُمْلَةِ عَلَى الْجُمْلَةِ؛ لَكُونَهُمَا مُتَّفَقَتَيْنِ فِي الْخَبَرِيَّةِ، وَجَاءَتْ إِخْبَارًا بِذِكْرِ نِعْمَةٍ أُخْرَى عَلَيْهِمْ؛ فَبَعْدَ أَنْ أَمَكَّنَهُمْ مِنْ غَلْبَةِ عَدُوِّهِمْ، عَادَ فَذَكَرَ إِمْدَادَهُمْ بِعَصَبِ الْحَيَاةِ، وَهُمْ الْأَمْوَالُ وَالْبَنُونَ، وَبَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ جَهَةٌ جَامِعَةٌ أَدَّتْ إِلَى الْعَطْفِ، فَإِلْمَادُ هُنَا ثَانِي ثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَارِ كَرَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَفِيهِ بَيَانٌ أَنَّ النَّصْرَ وَحْدَهُ غَيْرُ كَافٍ فِي الْغَلْبَةِ، فَلَا يَدَّ مَعَهُ مِنَ الْإِمْدَادِ لِلِاسْتِمْرَارِ.

دلالة التعبير بِ: ﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ﴾:

ورد الفعل "مدّ" مزيدًا بالهمزة مبالغة في زيادة العطاء؛ لأنَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 32 / 15.

(مَدَّ) فيه معنى العطاء، يُقال: مددتُ فلاناً، إذا أعطيتَه، فإذا أردت الزيادة في المدِّ قلت: أَمَدُّهُ بالهمزة مبالغةً في هذا الإمداد، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنٰكُمْ﴾ زاد معنى هذا العطاء فلم يكن مدًّا بمرة، بل تَعَدَّى الإمدادُ إلى كثرته، فصار إمداداً كثيراً متتابعاً لا ينقطع، ومن هنا قالوا: مَدَدْتُ فلاناً أَمَدُّهُ مدًّا، أي: زِدْتُ فيه وواصلتُه؛ فأطلت إمدادهُ حتَّى صار من كثرته لا ينقطع، وفيه من الدلالة على المنَّة ما لا يَسَعُ المقامُ بيانه؛ إذ هو إمدادٌ عظيم من ربِّ كريم، والإمدادُ بعد التَّوبة والإِنابة الصَّادقة يكون عظيمًا بقَدَرِ التَّوبة.

الله تعالى إذا
أعطى أدهش،
وإذا أنعم أكرم
وأعقد

دلالة تقديم ﴿بِأَمْوَالٍ﴾ على ﴿وَبَيْنَ﴾:

تقديم الأموال على البنين في قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنٰكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ﴾ من باب تقديم ما هو أكثر احتياجاً لبني إسرائيل، فإنَّ البنين موجودون، والأموال التي تؤدي إلى المكنة هي الأقلُّ حضوراً، فذُكِرت الأموال من باب تقديم الأهمِّ على المُهمِّ في هذا السياق التاريخي؛ إذ بالأموال تقوم الجيوش وتكون لها الغلبة، والمال مصدرُ إعدادٍ للأمة إذا اعتبرت فيه الوجهة الصحيحة؛ فالأموال هي التي يكون بها قِوامُ الحياة، والأساسُ الذي تُبنى به، ثمَّ البنون الذين يتمنَّاهُم الإنسان ولا يتأتَّى له كمالُ النعيم إلاَّ بهم، فالجمع بين هاتين النعمتين فيه إظهارٌ لمدى منَّة الله عليهم، ومدى كَرَمِهِ بهم سبحانه.

القُوَّة الماليَّة
والبشريَّة أصلُ
الغلبة السَّنيَّة

دلالة التعبير بالبنين دون الأولاد:

التعبير بالبنين في قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنٰكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ﴾ يُراد به الرِّجال الذين يقاتلون ويحملون السَّلاح، أمَّا الأولاد؛ فالمراد بهم ما يشمَلُ الذُّكور والإناث؛ بدليل قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: 11]، ففي مقام القوة والمُساندة والقتال يُعبَّر بالبنين، فدلَّ هذا الاختيارُ على أنَّ الأبناء قوَّة صلبة في الغلبة والتَّمكن،

الرِّجال هم مادَّة
القُوَّة، وبهم
يكون الإمدادُ
والغلبة

وشرطهم أن يكونوا على شرع الله وتقواه، وأنَّ للرجال ما لا يكون للنساء في نهضة الأمم، والتسوية بين الرجال والنساء في كل شيء تسوية باطلة لا تقوم على حق.

دلالة التعبير بالواو في: ﴿وَجَعَلْنَكُمْ﴾:

توالي النعم
التي امتن الله
تعالى بها على
بني إسرائيل

الواو عاطفة للجعل بالكثرة على ما سبق، من باب عطف الجملة على الجملة؛ لاتفاقهما في الخبرية مع وجود الجهة الجامعة للوصل والتشريك في الحكم الإعرابي، وهي الإخبار بنعمة أخرى من النعم التي امتن الله تعالى بها على هؤلاء؛ لتُضاف إلى سابقتها في أداء المراد.

دلالة التعبير بلفظ الجعل:

الجعل لإحداث
قوتهم، وإمداد
الله تعالى لهم
بكثرة أعدادهم
ورجالهم

اختيرَ فعلُ (جعل) وهو لفظٌ عامٌّ في الأفعال كلها، وهو أعمُّ من (فعل) و(صنع) وسائر أخواتهما⁽¹⁾، ومن هنا جاء التعبير بهذا الفعل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَكُمْ﴾؛ لإحداث قوّة، وإمداد الله تعالى لهم بكثرة أعدادهم ورجالهم، فينفرون حال الحرب لبأسهم وقوتهم، وأنه جعلهم أكثرَ نفيراً بالأفعال وصناعة السلاح والأعمال الصالحة في سبيل الدين.

دلالة التعبير بالكثريّة:

الكثرة في ميزان
الشرع تتعيّن
بالعمل الشّئني
لا بالأهواء
والشهوات

آثرَ النّظْم استعمالَ صيغة ﴿أَكْثَرُ﴾ لِمَحِ التّقَابِلِ بينهم وبين أعدائهم، فالكثرة والقِلّة يستعملان في الكميّة المنفصلة الأعداد، والمرادُ أنه ﷺ كآثر بهم غيرهم في العدد وفي الفعل أيضاً، ومنه المكاثرة والتكاثر، والمراد به: التّباري في كثرة المال والعزِّ، فكآثرهم عدداً وعتاداً، وهو أدلُّ على الكثرة لديهم من أعدائهم، وفيه: أنَّ على المؤمن أن يعمل في إعداد العدة على ضوء منهج الله تعالى للنصرة، لا أن يعتمد على الأمانيّ والتّمنيّ، فإنّه غيرُ موصلٍ، لأنّه

(1) الرّاغب، المفردات: (جعل).

غير متّصل بأمر الله فيما أراد من عباده أن يصنعوه في سبيل تحقيق نُصرة هذا الدين، فالنّصر له قانونٌ تُبيّنه الشريعة، لا أهواءُ النَّاسِ واجتهاداتهم الدُّنيويّة.

وذهب ابن عاشور إلى أنّ الأكثرية بالنسبة لما كانوا عليه، أي: أنّه تفضيل على أنفسهم، أي: جعلناكم أكثر ممّا كنتم قبل الجلاء، وهو المناسب لمقام الامتتان⁽¹⁾، ولا مانع من إرادة المعنيين، فهم أكثر من أعدائهم، ومن أنفسهم قبل هذا الإمداد.

بلغة التعبير بـ ﴿نَفِيرًا﴾:

المراد بالنفير في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ العدد، أي: جعلناكم أكثر عددًا من الرجال، وهو هنا تمييز لكلمة ﴿أَكْثَرَ﴾، أريد به التمييز المبيّن لجهة الأكثرية الواردة، وهو "اسم جمع للجماعة التي تنفر مع المرء من قومه وعشيرته، ومنه قول أبي جهل: لا في العير ولا في النفير⁽²⁾، واختير النفير دون الرجال، باعتبار ما تدل عليه هذه الكلمة من الحركة والاضطراب مع الإخافة وقوّة النشاط والمبادرة.

❖ الفروق المعجميّة:

الردّ والرجوع:

الردّ مُتَعَدٍّ، والرجوع لازم⁽³⁾، وقد يتعدّى، والرجوع يكون لمنتهى القصد ولغيره، ألا ترى أنّه يُقال: رَجَعَ إِلَى بعض الطريق، والرجوع هو المصير إلى الموضع الذي قد كان فيه قبل⁽⁴⁾، في حين أنّ الردّ لا يُشترط فيه ذلك، وقد يُقال: الرجوع: حركة واحدة في سمّت واحد، لكن على مسافة حركة هي مثل الأولى بعينها⁽⁵⁾، في حين أنّ الردّ يكون تكرارًا مرّة بعد أخرى.

إذا امتاز الرجال
بالحركة وقوّة
النشاط وُصفوا
بأنهم نفير

الرجوع يكون
للأصل، ولا
يُشترط ذلك في
الردّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 33 / 15.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 33 / 15.

(3) التيسابوي، غرائب القرآن: 512 / 3.

(4) العسكري، الفروق اللغويّة، ص: 303.

(5) الجرجاني، التعريفات، ص: 109.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-25-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»